

تقرير

شوقي عشقوني
lionbars@hotmail.comمن الربيع العربي إلى الشتاء الأوروبي
فرنسا في أزمة... وماكرون في الزاوية

عدوى الربيع العربي وصلت الى اوروبا، بدءا من فرنسا الحلقة الاضعف والاكثر حساسية في نظامها الاقتصادي وحوالها الاجتماعية وتركيبها السكانية. الشتاء الاوروبي تجمعت في سمائه غيوم كثيرة من الازمات المتدافعة، من الاقتصاد المتراجع الى مستوى المعيشة الهابط، ومن أزمة اللاجئين الى هاجس الامن والارهاب، وسط خلافات داخلية وضغوط مزدوجة من الجهتين الاميركية والروسية



انتفاضة شعبية مفاجئة ومقلقة تهدد الرئيس بالترنح.

انطلق ماكرون، مدعوما من اكثرية النيابية، في كسر النموذج الاجتماعي الفرنسي القائم على دولة الرعاية، وضرب قانون العمل الذي هو نتيجة نضالات شعبية ونقابية طويلة تعود الى الجبهة الشعبية عام 1936، وذلك خدمة لمنطق السوق وارباب العمل والمصالح الراسمالية. لم تستطع المعارضة الخجولة ثنيه عن عزمته التي نزلت الى الشارع. لكن كان يكفي ان تقرر حكومته رفع الضريبة على المحروقات حتى يلهب الشارع، ويشتعل حريق بات من الصعب اخماده.

خرج ماكرون الى الفرنسيين محاولا اطفاء الحريق المشتعل، واعلن في خطاب الى الامة عن جملة تدابير يأمل منها في ان تضع حدا للموجات الاحتجاجية المتعاقبة تحت مسمى السترات الصفرة التي تجتاح فرنسا وهزت اقتصادها واصابت صورتها واضعفت سلطاتها. في لفظة نادرة اعترف بانه يتحمل قسطا من المسؤولية، طامحا في ان يحول الازمة التي تعيشها بلاده منذ فترة الى فرصة للنهوض بها. ورأى ان غضب الناس ليس مصدره فقط زيادات الرسوم على المحروقات، لكنه اعمق من ذلك. لذلك، فقد اعلن حالة الطوارئ الاقتصادية والاجتماعية التي تعني العمل على توفير تعليم وتأهيل افضل والاستثمار في الامة والمدرسة وتوفير العيش بكرامة من العمل، وفتح حوار وطني شامل موسع وجامع مع جميع اللاعبين على كل المستويات، خصوصا مع المسؤولين المحليين (رؤساء البلديات)، مجددا العزم

تدهور دراماتيكي
في شعبية الرئيس
الاقبل شعبية بعد
اقل من سنتين

الشتاء الاوروبي، اتخذت ابعادا مفاجئة ومقلقة باتت تهدد الرئيس بالترنح، واتسمت بالعفوية وبرفض الحزبية الضيقة، بحيث يصعب احتواؤها. فهي استقطبت ابناء الطبقة الوسطى المشغلة برحائنها وامتيازاتها الاجتماعية، بكل اطيافها السياسية من اليمين المتطرف الى اليسار الميلانوشيوني. ما حصل الصق بالسترات الصفرة تهما متسرعة بالشعبوية وضيق الافق السياسي. لكن الدينامية التي تحركها هي في العمق نتيجة تراكم حقيقي للنقمة الشعبية على منظومة اقتصادية وسياسية يحكمها البنك المركزي الاوروبي، وتشكل ملامحها منطق السوق على حساب الرخاء والامان الاجتماعي. اليوم يتغير الواقع بسرعة، حتى بتنا امام حركة احتجاج بالمعنى الكامل للكلمة، بدأت تنظم وتفرز قياداتها، وخطابها، وبرنامجه الاجتماعي الذي يتضمن قائمة مطالب تبدأ بـ1300 اورو حدا ادنى للاجور، وتنتهي بفرض ضرائب عالية على الشركات العالمية الكبرى للزمن الرقمي، تتناسب مع ضخامة ارباحها.

ما جرى في فرنسا نموذج لما يمكن ان يجري في بلدان اوروبية اخرى، وغط لتفكير جديد سائد في المجتمعات الاوروبية غير المستقرة.

كيف سيتعاطى الرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون مع ازمة تهدد عهده واستقرار فرنسا الاقتصادي والاجتماعي والامن والسياسي؟ هل ما طرحه من حلول ومعالجات كاف لوقف ما يحصل، ام انه يراهن على تفكك وانقسامات في الحركة المعارضة المنضوية تحت لواء السترات الصفرة؟

ماكرون رئيسا لفرنسا منذ ربيع العام 2017، وصل الى قصر الاليزيه من خارج الطبقة السياسية والمؤسسة الحزبية. صعوده كان سريعا ومذهلا. فاز بالرئاسة ثم عزز فوزه بالسيطرة على البرلمان مع غالبية كبيرة، واضعا كل الاحزاب امام مشكلة فعلية. ماكرون الذي حاز شعبية واسعة مستفيدا من تصويت سلبى لمصلحته، وتعبيرا عن خيبة من احزاب اليمين واليسار، يواجه مسارا عكسيا مع تدهور دراماتيكي في شعبيته الى درجة انه بات الرئيس الاقل شعبية بعد مرور اقل من سنتين بين كل الرؤساء الفرنسيين من فيهم فرنسوا هولاند.

يجهد الرئيس الفرنسي في احتواء الازمة التي باغتته واطلت برأسها من الشارع وهزت استقرار باريس الامني والاقتصادي. يراهن على تفكيك هذا اللغم المتفجر المتمثل في حركة السترات الصفرة. هذه الانتفاضة الشعبية التي، على طريقة الربيع العربي ولكن تحت سقف

السترات
الصفرة

السترات الصفرة حركة شعبية مطلية عفوية غير منظمة، لا ترتبط بمرجعية وسلطة نقابية او حزبية، وهي بالتالي متفلتة من الضوابط والقيود ويصعب ضبطها ومحاورتها، في انتظار ان تنظم نفسها ويصبح لها قيادة ومرجعية.

هذه الحركة التي ولدت بعد فرض ضرائب جديدة على المحروقات، اضافة الى فرض اجراءات جديدة على السائقين بينها وضع سترات صفرة في سياراتهم، اوجدت جسما اجتماعيا غامضا وحركة شعبية مدهشة في قدرتها التنظيمية العفوية عن طريق الاستخدام الفعال لوسائل التواصل الاجتماعي. صحيح ان الموظفين واصحاب المهن الحرة يميلون اكثر من غيرهم الى هذه الحركة، وان المناطق الريفية هي الاكثر دعما لها من المدن، ولكن التعاطف معها يأتي من جهتي اليسار واليمين، خصوصا اليمين المتطرف بزعامة مارين لوبن. ثمة استقطاب بشكل رئيسي لافراد الطبقة الوسطى الذين يمتلكهم شعور قوي بعدم وجود عدالة اجتماعية. ويقدر ما كان صعود هذه الحركة مفاجئا وسريعا، فانها معرضة للتراجع والتفكك بسبب طابعها العفوي وغير المنظم، اذ بدأت تظهر في صفوفها علامات انقسام بين من يريد استمرار النضال بكل اشكاله العنيفة، ومن ينبذ اعمال العنف والتخريب، ومن يريد الدخول في حوار مع الحكومة.

اختصار، يرى المعترضون ان ما تقرر لا يوفر العدالة الضريبية ولا العدالة الاجتماعية، ولا يؤشر الى تغيير حقيقي في سياسات الحكومة الاقتصادية - الاجتماعية.

مشكلة الرئيس الفرنسي ان طموحاته اكبر من قدراته. يريد ان يكون رجل اوروبا، ومنافس الرئيس الاميركي دونالد ترامب، والمؤثر في العالم. يريد كذلك ان يغير

على الاستمرار في تحويل اي تحديث فرنسا، والاستمرار في خطه لذلك. تبرز الصورة السياسية لفرنسا اليوم انقسام افقيا على الشكل التالي: الاكثرية النيابية حزب الجمهورية الى الامام، والوسط الحزب الديمقراطي، واليمين الكلاسيكي حزب الجمهوريين، وارباب العمل، يصفون للتدابير الرئاسية مع بعض التحفظ لليمين حيال سبل توفير التمويل، وامتناع ماكرون عن تبين سياسة خفض الانفاق الحكومي. اما اقصى اليمين ممثلا بالتجمع الوطني الذي تتأسسه مارين لوبن وحزب انهضي فرنسا برئاسة النائب نيكولا دوبان - دينيان، فانهما من اشد منتقدي التدابير الحكومية. في المقابل، عارض اليسار بجميع تلاوينه ومنها الحزبان الاشتراكي والشيوعي وحركة فرنسا المتمردة المصنفة في اقصى اليسار التدابير الاخيرة، باعتبارها منقوصة وغير كافية وتكتفي باعطاء الفتات للفتات الاكثر هشاشة، بينما لا تطلب من اصحاب الثروات ان يساهموا في المجهود الجديد. في

العب تضحك لك الدنيا!



La Libanaise des Jeux



ماكرون
يحلّم بأن
يؤهل فرنسا
لدور أكبر في
أوروبا.

للرئيس، الشاب الطموح الذي قبض على الرئاسة وهو تحت سن الأربعين. وجاء ببرنامج اصلاحي جذري يريد بموجبه احداث تغييرات عميقة في المجتمع الفرنسي. اراد ان ينقل فرنسا من عصر الى عصر. عبر فوق الاحزاب التي داس عليها. محا الفوارق السياسية التقليدية، حين قدم نفسه خارج الاحزاب. لا يمين ولا يسار. انه ماكرون الاتي من غير ان يخوض يوما غمار اي حملة انتخابية اكانت محلية ام تشريعية. ليس خلفه حزب يدعمه ولا تاريخ سياسيا يستند اليه. وخلال 14 شهرا، كان الامر الناهي. روج لنظرية السلطة العمودية، حيث القرارات تتخذ في اعلى سلم الهرم وما على من تحت سوى التنفيذ. واستفاد من الغيبوبة التي ضربت الاحزاب بعد هزيمتين ماحقتين (الانتخابات الرئاسية والتشريعية). لكن اليوم، انقلبت الامور رأسا على عقب.

على الفرنسيين تجرّع المر اذا ارادوا اقتصادا قادرا على اجتذاب الاستثمارات

مشكلة الرئيس الفرنسي ان طموحاته اكبر من قدراته

المطالب بممارسات اصحاب السوابق. الناقدون على الحكومة وضرائبها ونهجها، والناقدون على المشروع الاوروبي نفسه وتعليمات بروكسل، والمتشددون من اليمين والمتطرفون من اليسار. حقيقة الامر ان الفرنسيين حائرون، ويبدون عاجزين عن فهم ما حصل

◀ دور الدولة الفرنسية. كان ماكرون يحلم بأن يؤهل فرنسا لدور أكبر في أوروبا. وهو يعرف ان الادوار في العالم الحالي تحتاج الى اقتصاد عصري متحرر من اثقال الافكار القديمة والتقدم التي تمنع الاقتصاد من النمو والتقدم والمنافسة. يعرف ان على الفرنسيين تجرّع ادوية مرة اذا ارادوا اقتصادا قادرا على التكيف المتواصل واجتذاب الاستثمارات. من هنا شرع في اجراء بعض الاصلاحات. لكن سرعان ما التصقت بالرئيس الشاب صفة رئيس الاغنياء. اخذوا عليه تركيز القرار في الاليزيه وعدم اعطاء المساحة الكافية للمؤسسات وللجهد الضروري لاقناع المواطن العادي. اتسعت الهوة بين الرئيس والشارع وانتهالت الحملات والاتهامات.

كان ماكرون يحلم بالدور الاوروبي الكبير حين اطلت السترات الصفر في الشوارع. وكالعادة اختلط غضب اصحاب